

الاستعارة في الخطاب الفلسفي عند بول ريكور Metaphor in Paul Ricoeur's philosophical discourse

رزيقة بن كحول¹ لزهر عقيبي²

¹ مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)،

razika.benkahoul@univ-biskra.dz

² جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، 1l.aguibi@univ-biskra.dz

تاريخ القبول: 2025/03/05

تاريخ الإرسال: 2024/09/06

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية لمعالجة قضية من قضايا البلاغة في سياقها المعاصر، وهي القضية التي تتعلق بالاستعارة، والتي شكلت مفارقة حقيقية منذ ظهورها إلى يومنا هذا أين توسعت فيها الأبحاث بتوسع نطاق المعرفة، فتنوعت حولها الدراسات بتنوع الخطابات، فكل خطاب تنتج إليه يُنتج لنا رؤية مغايرة عن الخطاب الذي سبقه، ومن هنا يأتي هذا البحث لتحليل ودراسة علاقة الاستعارة بأحد أنواع الخطابات ألا وهو الخطاب الفلسفي عند أحد رواد الفكر الفلسفي والهيرمينوطيقي المعاصر وهو بول ريكور، ريكور الذي أرسى لها دعائم وأسس في الخطاب عامة والفلسفة خاصة في مشروعه الهيرمينوطيقي، وبلاستعانة بالمنهج التحليلي سنحاول الإجابة عن إشكالية البحث والتي تتمثل في منزلة الاستعارة في الخطاب الفلسفي الريكوري وكيف فسرها وما هو الجديد الذي قدمه في هذا الصرح اللغوي والفلسفي والتأويلي؛ خصوصا وأنها تجاوزت الطرح القديم الذي كانت تعرف به أنها زخرفة وتزيين وتنميق للخطابات إلى اعتبارها نوع من أنواع الفهم والحجاج والإبلاغ وضرورة لا يمكن الاستغناء عنها.

كلمات مفتاحية: خطاب؛ استعارة؛ فلسفة؛ خطاب استعاري؛ خطاب فلسفي.

Abstract:

This research paper aims to address the issue of metaphor, which has been a subject of paradox since its emergence to the present day. As the scope of knowledge has expanded, so too has research on metaphor, with studies diversifying alongside the variety of discourses. Each discourse produces a distinct perspective, differing from those that preceded it. This study seeks to analyze and examine the relationship between metaphor and a specific type of discourse—namely, the philosophical discourse of Paul Ricoeur, a pioneer of contemporary philosophical and hermeneutic thought. Ricoeur established foundational principles for metaphor in discourse in general and philosophy in particular within his hermeneutic project.

Using an analytical approach, the paper attempts to address the central research question: What is the status of metaphor in Ricoeurian philosophical discourse, and how did he interpret it? Additionally, it explores the novel contributions Ricoeur made to this linguistic, philosophical, and hermeneutic framework. Notably, his work transcends the traditional view of metaphor as mere decoration or embellishment in discourse, redefining it as a mode of understanding, argumentation, and communication—an indispensable necessity.

Keywords: Discourse; Metaphor; Philosophy; Metaphorical discourse; Philosophical discourse.

1- مقدمة:

لقد تميز الخطاب الفلسفي بنوع من الانفصال بين الخطابة والفلسفة، وقد شهد على هذا الكثير من الفلاسفة منهم أرسطو الذي اعترض على أي رابطة يمكن أن تجمع بينه وبين مختلف العلوم الأخرى كالآداب والفنون... أرسطو الذي يعد من بين مهندسي فن الخطابة والشعر في الحقبة اليونانية وهذا لتوسعه في دراسة الخطابة وفن البلاغة والتطرق لأهم المواضيع المتعلقة بها كالحجاج والاستعارة والتشبيه... الخ، من هنا كان منطلق وأرضية خصبة لكل دارس في هذا المجال من بعده، والمتمعن جيدا لتاريخ الفكر الفلسفي واللغوي يجد أن الخطاب الفلسفي ومنذ عهد أرسطو قد تميز بميزة أخرى لا تقل عن الأولى وهي الطابع الحجاجي وقد تنوعت أساليب الحجاج من أهمها الاستعارة، ونظرا لما لها من قدرة على التبليغ والإقناع سرعان ما توسعت دائرة ونطاق البحث فيها فاكتسحت ميادين مختلفة، وتماشت مع تطور الفكر البشري واصطبغت بصبغة كل زمان ومكان وجدت فيه، والحيز الذي شغلته في الألفية الثانية من الزمن وفي الفكر المعاصر لا يستهان بهما، وهذا لأنها دخلت حقول لم يسبق لها الدخول إليها مثل الحقل الهيرمينوطيقي مع بول ريكور، فكان إسهامه لا بأس به لأنه نقلها من مجال اللغويات والبلاغة والأدب والشعر إلى مجال الفلسفة والتأويل، وتمكن من تأسيس نظرية قائمة بذاتها متجاوزا الطرح التقليدي الكلاسيكي بنظرة معاصرة.

وللإجابة على هذه الإشكالية انتهجنا المنهج التحليلي سبيلا واعتمدنا على خطة عمل تضمنت لمحة موجزة للخطاب والاستعارة بهدف الوقوف على تعريف كل منهما بغية تقريب المفهوم ثم التطرق إلى المكانة والموقع الذي شغلته الاستعارة في الخطاب الفلسفي عامة وعند ريكور بشكل خاص، وأخيرا سيتم التطرق إلى ما تطرق له ريكور في سياق معالجته لمشكلة الخطاب في الفلسفة وعلاقته بالاستعارة متضمنة الجانب الأنطولوجي ثم الثيولوجي ثم الميتافيزيقي، وفي الأخير الخروج بأهم النقاط المتوصل لها.

2- تعريف الخطاب:

عَرَفَ الخطاب كمفهوم منذ ظهوره عدة تحولات وتغيرات مست كل الميادين التي وجد فيها، منذ زمن أرسطو إلى يومنا هذا، وهذا ما يعطيه صفة التعدد والتنوع، وبالتالي من المستعصي الوقوف على تعريف واحد جامع مانع له، ومنه سنحاول الوقوف على بعض التعريفات اللغوية ثم التطرق لمفهومه من طرف بعض المنشغلين به لتقريب المفهوم أكثر.

1-2- التعريف اللغوي:

من الناحية المعجمية عُرِفَ الخطاب في العديد من المعاجم والقواميس اللغوية والمعجمية والبلاغية ومن بينها:

من حيث الاشتقاق اللغوي لكلمة خطاب نجدها في لسان العرب لابن منظور معرفة كالتالي: "خَطَبَ: الخَطْبُ والشأن أو الأمر، صغراً أو عظماً، وقيل هو سبب الأمر، يقال ما خَطَبُكَ؟ أي ما أمرك؟ ونقول هذا خَطْبٌ جليل" (منظور، 1984، صفحة 1195)، وفي موضع ثانٍ: "الخَطْبُ: هو الأمر الذي تقع فيه المَخَاطَبَةُ... والخَطَابُ والخَاطِبَةُ: مراجعة الكلام، وقد خَاطَبَهُ بالكلام مَخَاطَبَةً وخِطَابًا وهما يَتَخَاطَبَانِ" (منظور، 1984، صفحة 1195) أما في كتاب التعريفات لابن منظور فيذهب إلى أن الخطاب هو "هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعاظ" (ابراهيم، 1983، صفحة 134)؛ وفي المعجم الفلسفي لجميل صليبا نجده يذهب إلى أن "الخُطْبَةُ عند العرب الكلام المنثور المسجع، مثل الرسالة لها أول وآخر ومدة". (صليبا، 1982، صفحة 531).

مجمال هذه القواميس المعاجم اتفقت على الخطاب بوصفه آلية كلامية سواء كان هذا الكلام شفويا أو مكتوبا الغرض الأساسي منه هو الفهم والترغيب والتحييب والإقناع في أمر ما أو شأن معين.

2-2 التعريف الاصطلاحي:

تُعرّف الخطابة في مواضع عدة بأنها "علم البلاغة وليس الغرض منها تعليم الكلام البليغ فحسب، ولكن الغرض منها عرض الأفكار بأسلوب مقنع" (صليبا، 1982، صفحة 531)، وكان الهدف الأساسي لبروز الخطاب ليس فقط هو تعليم فنيات الحوار والتواصل والكلام البليغ، ولكن لهدف أكثر عمقا وهو فن الإقناع ولهذا لطالما ارتبط بالحجاج والمحااجة، ويمكن القول أن الخطاب هو ما يمكن التعبير عنه بلغة القول أو الفعل سواء كان هذا الخطاب مباشرا أو غير مباشر، أو بعبارة أخرى هو نظام عقلي بواسطته نعقل على الأشياء ونتصرف إزاءها وبمقتضاها فهو نظام واع بنفسه ونعبي به ولأجله. (الحميري، 2009، صفحة 12)، وهناك من يعرف الخطاب بأنه "حوار متبادل بين شخصين على الأقل؛ فهو عملية لفضلية حيوية في الزمان والمكان يديرها شخصان أو أشخاص بالكلام وبغير الكلام" (بوقرة، 2017، صفحة 157) وهناك من عرف الخطاب بمكوناته ومكانته فهو "إنجاز في المكان يقتضي لقيامه شروطا أهمها المَخَاطِبُ والمُخَاطَبُ، ولفظ الخطاب من حيث معناه اللغوي يدل على ملفوظ أكثر من الجملة منظورا إليه من حيث قواعد التسلسل الجملي" (بوقرة، 2017، صفحة 157)، لقد عالج الكثير من البلاغيين الخطاب كل حسب وجهة نظره وحسب البيئة التي وجد فيه الزمان الذي عاش فيه، وتأسيسا لمفهوم الخطاب نجده قد تشكل في الحقبة اليونانية وولد مع أرسطو فأصبح بذلك الأساس والمرجعية لكل دارس بعده حتى حقب متأخرة من الزمن والخطابة عنده "مبنية على المبادئ الكلية ويعرفها بقوله إنها الكلام المقنع". (صليبا، 1982، صفحة 531)

وقد اهتم أرسطو بالخطابة من منظور عقلي ونفسي من خلال الموازنة والمعادلة بين وسائل الإقناع والتأثير، حيث أن وسائل الإقناع معنية لوسائل التأثير، ومنه ميز بين نوعين من الحجج: الحجج غير المصنوعة ويقصد بها هي التي لا دخل لنا فيها لأنها تسبق تصرفاتنا، والأدلة المصنوعة وهي كل ما يمكننا أن نستجمعه بأنفسنا، وهذه الأخيرة يسميها أرسطو بالتصديقات وهي لب وجوهر نظرية الخطابة لديه وتقوم على ثلاثة أنواع، النوع الأول له جانب أخلاقي وهو ماله علاقة بأخلاق الخطيب، والثاني ما يتصل بالخطبة ما لها علاقة بالاستدلال، والثالث هو مرتبط بالاستدلال المنطقي ولما له ومن صلة بالحجاج ومدى تحقيق التأثير. (بصل والعكش، 2018، صفحة 32). وقد ربط الحجاج بالإقناع فهو "جدلياً يعد الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية تستند إلى مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة. وهما نظرتان تتكاملان في تحديده لمفهوم الخطاب الذي يبينه نوعية الحضور والرغبة في الإقناع". (بصل والعكش، 2018، صفحة 32).

ومنه فأرسطو استطاع أن يؤسس لمفهوم الخطابة في البلاغة ويصنع له المبادئ والقواعد الصحيحة له ويربطه بالحجاج والجدل وما إلى ذلك، وتجاوز به نظرة أستاذه أفلاطون وحارب به السفسطائيين الذين جعلوا منه وسيلة للتلاعب بالكلام، فهو فعل إنتاج الكلام الراجي للإقناع في أمور حصل فيها الخلاف فيحاول كل طرف بالضرورة التأثير على الطرف الآخر.

ميشال فوكو: يعد فوكو أحد المنظرين المعاصرين في الساحة الفكرية الفلسفية الذين استطاعوا بلورة مفهوم الخطاب في صورته المعاصرة، ربما لأنه تطرق لمجموعة كبيرة من المواضيع أهمها السلطة والمعرفة، وفي صياغته لمفهوم الخطاب الجديد انطلق من اللغة لينحو به منحى التاريخ والمجتمع وبواسطته تتحدد وترسم هذه العلاقات، فالخطاب هو "المنظومة المنطقية العامة التي تحكم مجموع الإنجازات اللفظية، أي أن الخطاب عنده مجموعة من المنطوقات تنتمي إلى تشكيلة خطابية وبوظيفة المنطوق داخلها تتحدد علاقته التاريخية والاجتماعية". (آسيا، 2016، صفحة 91) ويذهب فوكو بالخطاب إلى أبعد من هذا لمعالجة المشاكل السياسية ويربطه بالسلطة بشكل مباشر حيث يقول "يبدو أن الخطاب في ظاهره شيء بسيط، لكن أشكال المنع التي تلحقه تكشف باكراً وبسرعة عن ارتباطه بالرغبة والسلطة وما المستغرب في ذلك ما دام الخطاب... هو موضوع الرغبة ليس فقط هو ما يظهر أو يخفي الرغبة، لكنه أيضاً وما دام الخطاب -والتاريخ ما فتئ يعلمنا ذلك - ليس فقط هو ما يترجم الصراعات أو أنظمة السيطرة، لكنه هو ما نصارع من أجله وما نصارع به، وهو السلطة التي نحاول الاستيلاء عليها (تيرس، الخطاب ومفهوم النص في تأويلية بول ريكور ، 2019، صفحة 244/245)، وبهذا المعنى يصبح الخطاب عند فوكو ليس مجرد وسيلة سلطوية بل هو السلطة في حد ذاتها ، ولا يستعمل كغاية للوصول للسلطة بل هو هدف السلطة.

ايميل بنيفست: يذهب بنيفست في تعريفه للخطاب من وجهة نظر لسانية فهو "عبارة عن اللغة في حالة فعل، أو بوصفه اللغة بين شركاء التواصل" (الحميري، 2009، صفحة 28) مدام التواصل فإن العملية التواصلية يحتاج إلى طرفين هما المخاطبين أو حسب تعبيره هو متحدث وسماع بحيث تكون نية المتحدث هي التأثير في السامع.

بول ريكور: في كتابه من النص إلى الفعل يتساءل ريكور حول الخطاب بسؤال ما هو الخطاب؟ ليجيب: "لن نطلب الجواب من المناطق ولا حتى من المدافعين عن التحليل اللساني بل من علماء اللغة، الخطاب هو الرأي المخالف لما يسميه هؤلاء بالنسق أو النظام اللساني، الخطاب يعني حدث الكلام" (ريكور، من النص إلى الفعل -أبحاث في التأويل، 2001، صفحة 141)، من هنا انطلق ريكور في إبراز مجموعة من الثنائيات التي تبين توجهه البنيوي وخصوصا لسانيات دي سويسير مثل التمييز بين الكلام الشفوي والكلام المكتوب، لكن ما يهمننا هنا هو تمييزه بين اللغة والخطاب لتقريب معنى الخطاب أكثر حسب ما يراه هو ويعتقد أنه "إذا كانت العلامة الصوتية أو المعجمية هي وحدة أساس الكلام، فإن الجملة هي وحدة أساس الخطاب، لذا كانت لسانيات الجملة سنادا للخطاب باعتباره حدثا، من لسانيات الجملة سأحتفظ بأربع سمات تلك التي ستساعدني في إعداد هيرمينوطيقا الخطاب" (ريكور، من النص إلى الفعل -أبحاث في التأويل، 2001، صفحة 142)، وهذه السمات هي:

السمة الأولى: يتحقق الخطاب بشكل زمني أي مرتبط براهنية الزمن، فإن اللغة والنسق الخاص بها هي ما كانت تقديرية ولا تدخل في نطاق الزمن.

السمة الثانية: يشير الخطاب إلى مخاطبه وهو المتكلم بالضرورة، نجد أن اللغة لا تشير إلى ذاتها لأن ليس لها وعي بها وليس لها زمان كما سبق الذكر، فهي لا تتعدى لأن تكون أداة يستعملها المتخاطبون.

السمة الثالثة: كل خطاب يرجع لموضوع ما، أي له موضوع ما يتكلم فيه، أما اللغة فليس لها أي موضوع ولا تشير إلى أي حالة من الحالات، فهي واسطة للكلام فقط، وهذا باستغنائها عن الزمنية والذاتية.

السمة الرابعة: إذا كانت اللغة شرطا ضروريا من شروط التواصل، فإن الخطاب هو الذي يفتح مساحات التواصل ويخلق الجو المفتوح مع الآخر في عملية المخاطبة. (ريكور، من النص إلى الفعل -أبحاث في التأويل، 2001، صفحة 142).

ما يفهم من هذا التمييز أن ريكور قد أعطى للغة وظيفة الأداة فقط في عملية التواصل الخطابية، فالإنسان هو من يمتلك اللغة وليس العكس، وبالتالي فمفهوم الخطاب عنده أوسع وأشمل من مفهوم اللغة، وتمييزه بين اللغة والخطاب فتح له باب آخر وهو التمييز بين الكلام الشفوي والكلام المكتوب، من منطلق أن الخطاب هو كلام :

ففي الخطاب الشفهي مثلا نجد أن مرجعية المتخاطبين (المتحاورين) محددة بـ الآن في الزمان، وهنا في المكان، بمعنى الزمان والمكان في الخطاب الشفوي تكون مرجعيتها محددة، أيضا نجد المتحاوران يستعملان لغة الإشارات والإيماءات المتجسدة في لغة الجسد، والتكلم بالسؤال والجواب، وعلى هذا تختفي إشكالية الفهم، لأن المرجعية هي مرجعية علانية على حد قول بول ريكور ويفهم كل شيء في سياق الحديث من السؤال والجواب، فالخطاب الشفهي يفسر نفسه بنفسه إما عن طريق الكلام إما عن طريق لغة الجسد فالخطاب الشفهي إذن له الزمن والسياق والواقع والحوار المباشر، عكس الخطاب المكتوب الذي يأخذهم بمعنى مختلف، فما يثبت بالكتابة هو المعنى فقط، أي أن المخاطب في نصه يعبر عن النية فقط والمعنى عبر علامات ورموز تتجاوز الزمن لتنتقل عبر التاريخ، فالخطاب المكتوب يقوم بتحويل النية إلى عبارات وجمل أي علامات لغوية. (ريكور، نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى، 2006، صفحة 107)، وهذا ما عبر عنه بقوله " إن ما يأتي إلى الكتابة هو الخطاب بصفته نية في القول، وأن الكتابة تسجيل مباشر لتلك النية " (ريكور، من النص إلى الفعل -أبحاث في التأويل، 2001، صفحة 107).وهنا نشهد باستقلالية الخطاب المكتوب من سيطرة مؤلفه ويأخذ مساره لوحده في التاريخ.

3- تعريف الاستعارة:

لقيت الاستعارة رواجاً كبيراً في الأوساط اللغوية والبلاغية كمفهوم وكممارسة منذ القدم واختلفت حولها الرؤى فاختلفت بالتالي التعريفات من طرف المنشغلين بها ولا زالت لحد الآن تشكل مفارقة في الفكر البلاغي عامة وهذا لكونها وسيلة كلامية وممارسة تطبيقية يمارسها الإنسان العادي والرجل البليغ، ولمحاولة التعرف عليها سنحاول الوقوف على المعنى اللغوي والاشتقائي ثم الاصطلاحي للوصول لتعريف شامل قدر المستطاع.

3-1-التعريف اللغوي:

الاستعارة كلمة من حيث الاشتقاق اللغوي " مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص لآخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المُعَارِ إليه... واستَعَارَ الشيء واستَعَارَهُ منه: طلب منه أن يعيره إياه " (مطلوب، 1983، صفحة 136). وحسب عبد القاهر الجرجاني نجده يذهب إلى أنها " ما اكتفي فيها بالاسم المُستَعَارَ عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المُستَعَارَ له لِلْمُسْتَعَارَ منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما مُنافرة ولا تبين في أحدهما إعراض عن الآخر ". (مطلوب، 1983، صفحة 139) ويمكن تعريفها أيضا بأنها " هي معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة فيه مع ذكر المشبه من البين، كقولك لقيت أسداً، وأنت تعني به الرجل الشجاع " (ابراهيم، 1983، صفحة 35).

وتجمع القواميس اللغوية والبلاغية أن الجاحظ في الوطن العربي هو أول من عرفها بقوله: " الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه " (مطلوب، 1983، صفحة 138). أي هي عملية استبدال لفظ بلفظ آخر.

2-3- التعريف الاصطلاحي:

تُعرّف الاستعارة في العديد من المواضع بأنها " تحويل اللفظ من سياق وإقحامه في سياق آخر لوجود علاقة مشابهة بينهما، وإذا ما تساءلنا لماذا هذا النقل والتحويل؟ فنقول لإيضاح المعنى وقوة التبليغ، فالقول إن فلان شجاع وفلان أسد، فالفرق بين العبارتين واضح فالثانية أدت المعنى بشكل أبلغ وأقوى" (منيع، 2021، صفحة 191). فالاستعارة هي إحدى الفنون التي يستعملها ويلجأ إليها المتكلمون أو المتخاطبون بغية الوصول إلى الإقناع والتأثير لما لها من قوة في توضيح المعاني وتبنيها، والاستعارة في التعريفات المتعارف عليها يطلق عليها بأنها تشبيه حذف أحد طرفيه، وإذا أخذنا بهذا التعريف يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء هي:

أ/ مستعار منه وهو المشبه به، ب /مستعار له وهو المشبه، ج/ المستعار وهو اللفظ الذي نقل. وانطلاقاً من هذه الأجزاء تنقسم الاستعارة إلى نوعين من بين عدة أنواع كثيرة وهما: أ/الاستعارة التصريحية: وهي ما صرح فيها بالمشبه به وحذف المشبه، ب /الاستعارة المكنية وهي عكس الأولى وهي ما صرح فيها بالمشبه وحذف المشبه به.

وفي محاولة تتبع بدايات المصطلح كرونولوجيا في الغرب نجد أن أرسطو كما كان له السبق في إرساء دعائم الخطاب، أيضاً كان سباقاً في الاستعارة وفي تحديد معناها في الفكر البلاغي الغربي من خلال كتابين هما فن الشعور فن الخطابة، فأسس بهما نظرية موسعة في الخطابة والاستعارة؛ وفي تعريفه للاستعارة يقول: " إنها نقل اسم يدل على شيء ما إلى شيء آخر، ويكون النقل من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، أو من نوع إلى نوع، أو حسب التمثيل؛ وعليه فالاستعارة تعمل على تحويل اسم شيء إلى آخر بوساطة القياس". (صقر، 2023، صفحة 108).

في تعريفنا للاستعارة أجمعت التعريفات أنها تشبيه حذف أحد طرفيه، وهذا ما ذهب إليه أرسطو حين اعتقد أنها تقوم على المشابهة "وأنه لا يوجد اختلاف واسع بينها وبين التشبيه، غير أن أداة التشبيه تغيب في الأولى وتحضر في الثانية؛ وهذا ما يجعل الاستعارة تشبيها مختصراً" هذه النظرة وجدت وبقيت راسخة إلى ما بعد أرسطو فهي مثلاً ما وجدت عند العرب بالضبط عبد القاهر الجرجاني (صقر، 2023، صفحة 110).

والدارس للاستعارة عند أرسطو يجدها قد انقسمت إلى قسمين مختلفين من حيث الأهداف: القسم الأول وهو البلاغة التي موضوعها الخطاب بمختلف أنواعه الذي يهدف بالدرجة الأولى للإقناع والذي لن يكون إلا بالاستعارة، القسم الثاني وهو فن الشعر والذي هو في حقيقة

الأمر محاكاة للفعل الإنساني النبيل خصوصا ما تعلق بالشعر التراجيدي. (لحويذق، 2015، صفحة 9)

وقد اقتصرنا فقط على الألفاظ ولم نتعداها إلى ما دون ذلك إلى مختلف الأنشطة اليومية التي يمارسها الإنسان أو مختلف المعارف، هذا ما جعلها محط نقد وقاصرة في الدراسات الحديثة والمتأخرة التي رأت في الاستعارة ملازمة للنشاط الإنساني ومتعايشة معه وقد خرجت من إطار المشابهة إلى مختلف الأنساق الفكرية، هذا الطرح تبناه العديد من الدارسين للاستعارة في زهيا المعاصر من بينهم إمبيرتو إيكو والذي يذهب بالقول: "إن اللغة بطبيعتها وفي الأصل استعارية؛ إذ تؤسس آلية الاستعارة للنشاط اللغوي وكل قاعدة أو مواضعه لاحقة تولد بقصد تحديد الثراء الاستعاري الذي يعرف الإنسان على أنه حيوان رمزي" (صقر، 2023، صفحة 110) فيرجع هذا الأخير إلى اللغة ككل ويعطيها صفات الاستعارة التي تتميز بالرمزية من منطلق أن الإنسان ليس حيوان عاقل، بل هو حيوان لغوي رمزي، ومهمة الإنسان تكون حيال ذلك فك هذه الرموز، التي تتكون في الخطابات اليومية المتعددة، وفي وجهة نظره حول الاستعارة يعتقد إيكو أنها مجرد حيلة تمكننا من الحديث والكلام بلغة المجاز، ويصفها بأنها أكذوبة لأنها لا تحمل في طياتها الصدق ولا الإخبار ولا الوضوح " فالمرأة ليست بجعة والمحارب ليس أسدا، كما ورد في التعبيرات الاستعارية، وهذا ما يفتحها على التأويل الذي بدوره يرتبط بدرجة الحمولة الثقافية للمؤولين بمعنى أن المعاني المتولدة عن الممارسة الاستعارية، يجب أن تتلاءم مع ثقافة العصر حتى لا تنتج حلقة مفتوحة من التأويلات" (منيع، 2021، صفحة 195) انطلاقا من التصرف الذي جاء به إيكو للاستعارة فإنه قد أخرجها من دائرة البلاغة نوعا ما وأدخلها عالم التأويل، وفتح لها آفاق التفسير والفهم بشرط أن لا يخرج هذا عن العصر والثقافة والبيئة التي وجدت فيها كي لا تخرج هي الأخرى عن نطاقها الذي مورست ووجدت لأجله .

ماكس بلاك: لقد أعطى ماكس بلاك رؤية وتصور جديد ومخالف للاستعارة عما كانت تعرف به قديما وهذا من خلال التمييز بين " ما يدعى الكلمة البؤرة Forcus وبين ما سماه الكلمة الإطار Frame أي باقي الجملة إذ أكد أن الكلمة البؤرة تتخلى عن بعض خصائصها لتضاف إليها خصائص أخرى، كما أن الإطار يخضع بدوره لفقدان سمات واكتساب سمات مغايرة جراء التفاعل الذي يحصل بين البؤرة والإطار " ومثال ذلك قولنا مثلا زيد أسد ما نلاحظه هو أن الأسد سيفقد بعضا من سماته وخصائصه التي تخصه كحيوان، ويكتسب بعض السمات التي تضاف له من الخصائص الإنسانية، وهذا ما يحدث أيضا بالنسبة لزيد، وهنا يحصل تفاعل بين السمات المشتركة أي بين الفكرتين، هذا التفاعل سيولد فكرة جديدة. (يجي، دس، صفحة 213)

بول ريكور: تناول ريكور موضوع الاستعارة وفصل فيه في مؤلفه الاستعارة الحية الصادر سنة 1975، والذي حسب ما جاء فيه كان تكملة لبعض المواضيع الواردة في كتاب أسبق بعنوان صراع التأويلات حيث عالج فيه مسائل البنية واللفظ والحدث.

وانطلق ريكور في دراسته للاستعارة من خلال ما تناوله في مشكلة الرموز فقد اعتبر أن الرمز " هو كل بنية دالة، يشير فيها المعنى المباشر والأولي إلى معنى آخر غير مباشر، وهذا المعنى المختفي وراء المعنى الظاهر يتم الكشف عنه من خلال التأويل، وهكذا فإن الرمز والمعنى يشكلان حدين أساسيان، ويتخذ الرمز صورا متعددة أسطورة، مجاز، استعارة، الشعر..." (منيع، 2021، صفحة 193). ولقد خطى ريكور على خطى إيكو في عملية فهم الرمز بواسطة التأويل لكن الفرق هو أن ريكور يفتح آفاق التأويل ولا يحده، خصوصا أن الاستعارة عنده هي صورة من صور الرمز. في كتابه نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى يعرف لنا الاستعارة بقوله " الاستعارة تهتم بدلالة الجملة قبل أن تهتم بدلالة الكلمة المفردة، ومادامت الاستعارة لا تحظى بالمغزى إلا في القول فهي ظاهرة إسناد لا تسمية، حين يتحدث الشاعر عن (صلاة زرقاء) أو (غطاء الأحزان) فإنه يضع كلمتين نستطيع أن نتابع ريتشاردز بتسميتهما المحمول tenor، الحامل vehicle في علاقة توتر، وليس إلا الجمع بينهما ما يشكل الاستعارة، وهذا ما لا يجب أن نتحدث عن استعمال استعاري لكلمة معينة، بل قول استعاري كامل، فالاستعارة هي حاصل التوتر بين مفردتين في قول استعاري " (ريكور، نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى، 2006، صفحة 90) ويذهب بقوله هذا أن الاستعارة لا تهتم بدلالة الكلمة الواحدة بل بدلالة الجملة، وبذلك تتجاوز دلالة الكلمة إلى دلالة الجملة، وبالتالي في تقوم على فكرتين أو كلمتين متناقضتين ويضرب المثل بصلاة زرقاء فكلمة زرقاء وكلمة صلاة ليس بينهما أي رابطة، وإنما الذي يجمع بينهما هو علاقة التوتر، الذي بدوره يقوي ويشكل الاستعارة، فالتوتر إذن هو " هو لحظة الانفعال التي تتولد جراء تركيب بين الموجودات والمفردات متباعدة وهذا التركيب يخرج عن نطاق المألوف، أو لم نتفطن له إن صح التعبير " (منيع، الأبعاد الجمالية للاستعارة في فلسفة بول ريكور، 2023/2022، صفحة 139). بهذه النظرة الذي أعطاه ريكور لاستعارة نجده " لا يشيد بموقف أرسطو من الاستعارة على أنها استبدال كلمة بكلمة، لأن الاستعارة تهتم بدلالة الجملة وليس الكلمة، لهذا لا يتحدث ريكور عن الاستعمال الاستعاري للكلمة بل على القول الاستعاري الذي يتأسس في لحظة التوتر وفي هذا التأسيس تنقل الاستعارة قدرتها على الابتكار الدلالي بفضل الاقتراعات المستجدة". (منيع، الأبعاد الجمالية للاستعارة في فلسفة بول ريكور، 2023/2022، صفحة 139).

الاستعارة هي ما يُولد عن الابتكار الدلالي حسب قوله أو الخلق الجديد، الذي يبني على التأويل المزدوج بين الحرفي والمجازي، وفي هذا المسعى وفي سياقه لبناء نظرية الاستعارة يميز بين الاستعارة الحية والاستعارة الميتة " فالاستعارات الميتة ليست باستعارات إذا أردنا الدقة، وأعني

بالاستعارة الميتة عبارات من طراز (أرجل الكرسي) أو (لسان الباب)؛ الاستعارات الحية هي استعارات الابتكار التي تكون فيها الاستجابة للتنافر في الجملة توسيعاً جديداً للمعنى، وإن صح القول بالتأكيد إن الاستعارات المبتدعة تتحول بالتكرار إلى استعارات ميتة" (ريكور، نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى، 2006، صفحة 93) فالاستعارة الميتة إذن هي ما تكونت وترسبت بفعل التكرار وأضحت تستعمل بصورة نمطية فلا تحتاج لتأويل ولا يصاغ فيها الجديد، عكس الاستعارة الحية التي تولد بفعل التنافر والتوتر فتنبثق منها دلالات جديدة، ويضيف أن الاستعارة الحية ستتحوّل بفعل الزمن والتكرار إلى ميتة، ومنه يتجاوز ريكور النظرة التي تقول بأن الاستعارة مادة جمالية تُزخرف بها اللغة إلى أنها مادة للخلق والابتكار المعجمي والدلالي ومنه فـ "الاستعارة بالنسبة لريكور ما يشبه الخطاب بشرط أن يتميز بالحدثة الإبداعية وتبتعد عن كل تفسير حرفي، وهذا ما جعل ريكور يعطي أحد صفات الميزة للاستعارة الحية صفة الإبداع والأصل. (Amalric، 2015، صفحة 12).

4 - الاستعارة والخطاب الفلسفي:

4-1- مكانة الاستعارة في الخطاب الفلسفي عند بول ريكور:

تناول ريكور موضوع الاستعارة بشكل موسع في كتابه الاستعارة الحية، والذي كان بمثابة القفزة النوعية في البلاغة المعاصرة وهذا نتيجة للتجاوز الذي قام به في نقده للاستعارة الأرسطية بالتحديد، و كان بالنسبة له هو تكملة لكتاب سابق بعنوان صراع التأويلات حيث تناول فيه مسائل البنية واللفظ والحدث، لقد تطرق كل من ريكور ودريدا لعلاقة الفلسفة بالاستعارة وكلاهما بدءاً من أرسطو وجعله نقطة انطلاق، فكتاب الاستعارة الحية لريكور كان بمثابة رد فعل وتجاوز لكتاب دريد الميثولوجيا البيضاء، ويبدو أن ريكور قد تجاوز وتخطى تماماً أهمية التفسير النقدي لأرسطو من طرف دريدا (Driscoll، 2020، p. 1). وما يعنيننا هنا هو الحديث عن مسائل الخطاب ولا سيما الخطاب الفلسفي فالتمركز على انتقال وتوسيع معنى الكلمات مما يجعلها تشكل النص من خلال الكلمات التي تتماثل بصيغة استعارية في خطاب واسع ومتعدد، لأنها تعمل على إعادة وصف الواقع من جديد من خلال أشكال الخطاب المختلفة كالحكاية والشعر والفلسفة، وكانت محاولته بالتطرق إليها في مجال اللغة بغية إعادة طرح جديد للمعنى والدلالة مختلف عن الطرح الكلاسيكي، فتمثلت في صورة خطاب فلسفي مبتعداً عن الأسس الميتافيزيقية لكل من نيتشه وهيدغر، ومنه التمكن من بناء لغة للخطاب الفلسفي بعدما يتم استبدال اللغة الميتافيزيقية باللغة الاستعارية في الفلسفة، ولقد ربط ريكور الاستعارة بالخطاب الفلسفي لأنها ليست انحراف لغوي أو انزياح فني منجز عقلي، وكل ما تعطينا إياه الاستعارة هو عبارة عن تشكيل جديد للمعنى بواسطة اللغة، وبالتالي فهي إضافة مميزة للخطاب الفلسفي من خلال تدعيمه بمختلف المعاني والعبارات المتجددة، ومنه يحصل الخطاب الفلسفي على مظاهر ورؤى وأوجه

جديدة للواقع من خلال التجديد الاستعاري (تيرس، الخطاب ومفهوم النص في تأويلية بول ريكور ، 2019، صفحة 249/248). والملاحظ أيضا أن الاستعارة ومكانتها بالنسبة للخطاب الفلسفي لا تكمن فقط في التجديد وإنما في تزويده بالقدرة على الحجاج والإقناع والإبلاغ، والنقد الفكري وتوسيع النطاق الفهم.

ومنه يمكن القول أن هناك ما يشبه العلاقة بين الخطاب الفلسفي والاستعارة بحيث " تمثل الفلسفة الحقل الديناميكي للاستعارة ويكون للخطاب الفلسفي منابع استعارية سابقة له. كما تقود الاستعارة الخطاب الفلسفي إلى مساءلة نقدية ومراجعة جذرية تتعلق بحقيقته وأساسه والمنهج الذي يجدر به إتباعه" (الخويلدي، 2020، صفحة 76). أيضا تعمل الفلسفة من جهتها على التقليل من كل الاستعمالات غير المرغوبة أو المبتذلة أو السيئة، وذلك من خلال النظر لها على أنها إحدى الخصائص العادية للإنسان التي يستعملها في الكلام العادي، فتعمل على أخذ الجانب المشرق فيها من خلال التمييز والفرقة بين الاستعارات التي تحيي الملكة اللغوية للإنسان والاستعارات التي يمكن أن تتلاشى بها وتذبل.. (الخويلدي، 2020، صفحة 78).

لقد عمل ريكور على منح منزلة للاستعارة في هيرمينوطيقته بشكل خاص وتكمن هذه المنزلة في " أنها تنزل ضمن حقل الخطاب عامة وتمثل جهدا مبذولا للتفكير في اختبار العبارة الاستعارية ومنزلتها في الخطاب الفلسفي والتنصيص على بنيتها الإنسانية وعلى شاعريتها الخلاقة وابتكارها الدلالي. بهذا تعني الاستعارة القدرة على إعادة وصف الواقع ، ولكن حسب تعدد أنماط الخطاب التي تمتد من الشعور إلى الفلسفة مروراً بالفن والأدب والأسطورة وتسوغ التطرق إلى الحقيقة المجازية". (الخويلدي، 2020، صفحة 77)؛ وحول مكانة الاستعارة وأهميتها بحث ريكور كثيرا في الأسباب الداعية لها وطرح عدة تساؤلات وأجاب بالتالي: "لعل أهمها هو أن الاستعارة توجد بصفة عامة، لردم فجوة دلالية في الشفرة المعجمية، أو لتزيين الخطاب وجعله أكثر إشراقا، ولأن لدينا أفكارا أكثر مما لدينا من كلمات نعبر عنها، فلا بد من أن نبسط دلالات الكلمات التي لدينا إلى مدى يتخطى حدود الاستعمال اليومي، أو نختار في الإحالات التي تتوفر فيها كلمات مناسبة، أن نستعمل كلمة مجازية ، لكي ندخل السرور أو الفتنة في قلوب المستمعين إلينا، وذلك بالتأثير عليهم بطريقة غير برهانية، وبدون استخدام العنف". (عمران، 2022، صفحة 14/13).

لقد أدرك الفلاسفة موقع الاستعارة في الفلسفة عامة والخطاب الفلسفي خاصة، خصوصا وأنها تعتبر آلية حجاجية، فهي " الوساطة في عقلنة الخيال فليست الاستعارة مجرد مجاز يحيل إلى فضاء تخيّل في اللغة، بل هي عملية استبدال وتحويل داخل الوعي نفسه، وأما البيان فسلوك انزياحي للغة من خلال الاستعارة وداخل اللغة نفسها مقصده الفهم والتبيان، فهو بذلك بلاغة لبلوغه مقاصد الإفهام والإبلاغ، ففيه شرح وتفسير وتأويل وفق نموذج الغموض من أجل الوضوح والالتباس من أجل البيان واللغز من أجل الحقيقة". (يعي، دس، صفحة 210)ومن هنا

صار موقع الاستعارة في الخطاب الفلسفي ليس موقع زخرف وتحسين وتجميل بل موقع بلاغي حجاجي تأويلي غرضه الفهم والإفهام.

4-2- الاستعارة والأنطولوجيا :

لقد فصل ريكور في كتابه الاستعارة الحية وفي دراسة خاصة بالخطاب الفلسفي موقع الاستعارة في الجانب الأنطولوجي باعتبار أن "الخطاب الفلسفي يعبر في المقام الأول عن ارتقاء الفكر الإنساني، إذ يتأمل نفسه في قابلية التعبير عن الكلام بدقة، إذ أن الفلسفة تتموضع في الخطابات التأملية، ولم يكن هذا منفصلا عن اللغة في علاقاتها بالوجود وعن النقد والفلسفة، وغاية ريكور إذا أن يلقي الضوء على قضية الوجود فيولي مقولات أرسطو حول الوجود المتعدد أهمية بوصفها تأسيسا لا بد من التعرّيج عليه لفهم الخطابات اللاحقة المستندة إليه". (موسى، 2022، صفحة 135)، وانطلق من فكرة أن الاستعارة ليس بعملية استبدال كلمة بأخرى، بل هي ما تعبر عن الخطاب بشكلي كلي، ومنه يصبح الخطاب الاستعاري ليس مجرد خطاب مألوف أو عادي منمق ومزين، بل يذهب إلى أبعد من هذا فهو يشبه المغامرة الأنطولوجية التي تفتح آفاق لعوالم جديدة، خلق من خلال التوتر الناتج عن تقابل الاستعارات، وبالتالي يصبح هذا التوتر عاكس لمفهوم العالم، الخطاب الاستعاري يخلق بدوره العبارات ومنه تصبح اللغة بمثابة الأساس الذي يرفع صرح الأنطولوجيا (الطاهر، 2018/2017، صفحة 152) من هذا المنطلق دعا ريكور لنموذج استعاري أخرو هو النموذج التفاعلي بدل النموذج الاستبدالي .

وفي سياق نظريته للخطاب الفلسفي في الجانب الأنطولوجي ميز ريكور بين نوعين من الخطاب هما الخطاب التأملي والخطاب الشعري فإذا كان "يهدف الخطاب التأملي إلى إقامة علاقة مطابقة بين العلاقات اللغوية الداخلية ومطابقتها مع الواقع الخارجي، في حين أن الخطاب الشعري يكتفي بالمعنى وحده وإحالاته تكون في العلاقات اللغوية الداخلية، وهنا يكمن دور الاستعارة لأنها تحيل المعنى إلى معنى آخر، فالمعنى المجازي يتحول إلى دال له مدلول آخر" (منيع، 2021، صفحة 193)، وتتواجد الاستعارة في قلب السؤال الفلسفي في الأنطولوجيا بالسؤال الذي بدأه أرسطو، أي بمعنى أن الخطاب التأملي في أصله وبداياته بدأ خطابا شعريا استعاريا من مجرد طرح للسؤال ما الوجود ؟ فمدلول جواب هذا السؤال هو مدلول متعال على حد تعبير جاك دريدا، ببساطة لأنه لا مرجع له ولا إحالة لمرجع خارجي له (وورد، 1999، صفحة 14)...يرى ريكور أن الخطاب التأملي مضطر إلى توظيف علم الدلالة في الخطاب الشعري حيثما حاولت الفلسفة ردم الهوة بين واحدة المعنى وتعدد المعاني بتقديم وسيط يوفق بينهما. وكان الوسيط الذي اقترحه أرسطو هو فكرة المماثلة، analogy، لأن المماثلة تنتمي إلى كلا الخطابين (الطاهر، 2018/2017، صفحة

والملاحظ أن الخطاب الشعري الاستعاري ينطلق في صلتة بالوجود من المعنى والدلالة، ولكنه يحور تلك الصورة الأولية فيتجسد حضور المفاهيم في الذهن في لحظات التأمل فيما يتعلق بواقع الخطابين ولفهم الخطاب الشعري الاستعاري لا بد من العودة للوجود والبحث عن العلاقة بينهما وبذلك تكون حركة الوصل بين التأمل والشعري إذ أن الشعر مائل في الوجود منعكس في الشعر والتأمل يبحث عن العلاقات القائمة بين أشكال الوجود عبر أشكال الخطاب وهذا ما يجسده انبثاق الواقع من الخطاب الشعري " (موسى، 2022، صفحة 147)

من خلال هذا كله يمكن القول أن تمكن ريكور من الوصول لحل العلاقة بين الخطابين الشعري والتأمل ومنه وقع في مهمتين: "الأولى بناء نظرية عامة للتقاطعات بين دوائر الخطاب ويقترح في مسلمات الإحالة تأويل أنطولوجيا ضمنية يستجيب لجدل جهات الخطاب بالفلسفة تبين اقتدارها في فن ترتيب التعدديات المنتظمة وبهذا المنظور ينبغي التماس أساس لنظرية عامة لتقاطع الخطابات في ظاهرية مقارباتها الدلالية " (موسى، 2022، صفحة 145).

بالإضافة إلى هذا كله فإن أرسطو في تحليله للوجود وجد معاني متعددة وكثيرة تحيط بمفهوم ودلالة الوجود، وفي هذا التعدد للمعاني عند محاولة إقامة علاقة الإحالة في بينها تكون قد تشكلت الاستعارة، والملاحظ أن الاستعارة في اللغات الأجنبية الأوروبية Métaphore والتي تعني ما وراء المعنى أو بعبارة أدق ما وراء الظاهر، وهذا ما نجده مؤكدا هيدغر عند ذهب إلى اعتبار أن (الاستعاري يوجد في قلب الميتافيزيقا)، فما يوجد وراء المعنى أي ما هو خفي هو بالضرورة وراء الطبيعة، يستنتج من هذا كله أن الإحالة لها مستويين: مستوى يتشكل بالمعنى اللغوي وهو المستوى الظاهر التي تشير إليه الاستعارة لأنها تحيل إلى معاني أخرى، ومستوى خفي أو ما وراء الطبيعة، لأن مدلولات الاستعارة قائمة على المماثلة المتعالية. (منيع، 2021، صفحة 194).

وحول مكانة الفكر الاستعاري الأرسطي يذهب ريكور إلى أن أرسطو في مؤلفه المسمى "المقولات" الذي لا يظهر فيه مصطلح المماثلة فعلا، نموذجا لا - شعريا لالتباس المعاني، وهو يقترح الشروط الضرورية لنظرية لا استعارية في المماثلة. وقد تابعه على ذلك الأفلاطونيون الجدد، وفلاسفة القرون الوسطى العرب والأوروبيون، بل تابعه الفلاسفة المحدثون من طراز كانت وهيغل ورينوفيه وهاملان. إذ ظل السؤال الميتافيزيقي عن تعدد معاني الوجود لدى هؤلاء مطروحا لأن الخطاب الشعري يختلف عن الخطاب الاعتيادي. (الطاهر، 2018/2017، صفحة 244/243)

3-4- الاستعارة في الخطاب اللاهوتي :

لم يتوقف ريكور في تحليله لنظرية الاستعارة في الجانب الوجودي بل واصل ذلك من خلال تمييزه بين كل من الرمز والاستعارة في جانب النص الديني، متشبثا برأيه السابق الذي دعا فيه إلى ضرورة التخلي عن التصور القديم الكلاسيكي الذي أتى به أرسطو المتمثل في المماثلة

والاستبدال والتمسك بفكرة أن الاستعارة تمثل فائض المعنى وبالتالي فهي تفتح النص على مجموعة من العوالم الجديدة، من خلال الابتكار الدلالي والخلق الجديد للمعاني بالتالي تكون الاستعارة مثلها مثل الرمز ينبغي تحريرها من قيود الفهم والتأويل الحرفي للبحث للنص الأثرثودوكسي من جهة و من جهة أخرى تحريرها من النظرة الوضعية، وحسب ريكور فإن الرمز لا يشتغل داخل النص الديني إلا عندما يتم تأويله داخل البيئة التي وجد فيها، هذا ما أعطى للاستعارة ميزة التوتر الدلالي بين المعاني الخفية والمعاني الظاهرة داخل النص الديني. (الزروخي، 2017/2016، صفحة 110).

أما العلاقة بين الاستعارات فهي علاقة استدعاء، فكل استعارة تستدعي أخرى لتظل حية داخل الشبكة بأكملها، فلكي تحيا الاستعارة ينبغي أن تتجاوز وتتبادل التأثير بين الإشارات، وهذا ما وجده ريكور في التراث العبراني ف"إذا لم تنقض الاستعارات أنفسها من الاضمحلال التام عن طريق رص صفوفها لتحقيق تبادل التأثير بين الإشارات، كل استعارة تستدعي الأخرى وكل واحد تبقى حية بالحفاظ على قدرتها في استحثاث الشبكة بأسرها هكذا يطلق على الله في التراث العبراني اسم الملك والأب والزوج والمولى والراعي والقاضي، كما يطلق عليه الصخرة والحصن، والمخلص العبد والمعذب" (ريكور، نظرية التأويل الخطاب- وفائض المعنى، 2006، صفحة 108)، وهذا ما يولد لنا حسب ريكور ما يمكن "أن نسميه باستعارات الجذور، الاستعارات التي لديها القوة من جهة لجمع الاستعارات الجزئية المستمدة من مختلف الميادين وتضفي عليها بالتالي نوعا من التوازن، ومن جهة أخرى لديها القدرة على توليد غزارة مفهومية أعني عددا غير محدود من التأويلات الضمنية على المستوى المفهومي فاستعارات الجذور تفرق تجمع الصور التابعة معا، وتفرق المفاهيم على مستوى أعلى إنها الاستعارات المهيمنة القادرة على توليد وتنظيم شبكة نافعة كنقطة اتصال بين المستوى الرمزي بارتقائه البطيء والمستوى الاستعاري السريع الزوال " (ريكور، نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى، 2006، صفحة 109).

ويذهب ريكور أن الرمز يحيل إلى شيء آخر غير الشيء الظاهر كما نجد في علم النفس فهو يربط رموزه بصراعات خفية، هذا ما يحصل بالضبط مع مؤرخ الأديان الذي يرى أن الرمز هو نوع من بروز المقدس، وهذا هو السبب في حقيقة الأمر الذي دفع بريكور إلى محاولة تفسير الرموز الدينية في إطار نظرية الاستعارة، بهدف تقليص الفارق بين الرمز والاستعارة، أيضا عمل على دراسة وتحديد طبيعة الرمز بواسطة اللغة ومن ثمة يسمح لنا التفكير بالمرور إلى المفهوم. (الزروخي، 2017/2016، صفحة 122).

لكن السؤال المطروح هنا هل يمكن هل يمكن للرمز أن يتطابق مع الاستعارة، يجيب ريكور بقوله: "الاستعارة تحصل في عالم اللوغوس الخالص تماما، بينما يتردد الرمز على الخط الفاصل بين الحياة واللوغوس، فهو يتحقق في نقطة التجذر الأولى للخطاب في الحياة، لأنه يولد حيث

يتطابق القوة والشكل" (ريكور، نظرية التأويل الخطاب- وفائض المعنى، 2006، صفحة 102)، فيستنجز ريكور انطلاقاً من المناقشة التي قام بها في التحليل النفسي عدم إمكانية عبور الرمز إلى أرض الاستعارة على حد تعبيره .

ومنه من الضروري الانتباه لموقع ومنزلة الاستعارة في الخطاب الديني أو النص الديني في هيرمينوطيقا ريكور من "ناحية المنهجية والعمل على كشف وظائفها في الخطاب الديني، لأنها تتجاوز الوظيفة الفنية إلى الوظيفة الدلالية. وهكذا استطاع ريكور نقل اللغة من كونها بنية نسقيه إلى كونها خطاب ينجز ويستعمل يومياً" (الزروخي، 2017/2016، صفحة 124).

4-4- الاستعارة والميتافيزيقا:

بدأ ريكور بحثه الميتافيزيقي في سياق الاستعارة من تأكيد هيدغر بأن الاستعارة تتواجد داخل الميتافيزيقا، والاستعارة إذا جئنا إلى معناها باللغة الأجنبية Métaphore بمعنى ما وراء المعنى "وبذلك يكون معنى عبارة هيدغر أن ما وراء المعنى يسكن في داخل ما وراء الطبيعة. وبمتابعة جاك دريدا في إجراءاته الخاصة بالبحث عن الاستعارة في الفلسفة، في مقالاته الشهيرة الميثولوجيا البيضاء، يلاحق ريكور الاستعارة في النصوص الفلسفية لأرسطو حتى هيدغر نفسه". (الطاهر، 2018/2017، صفحة 142/141).

وقد نبه هيدغر إلى "أن قصور الميتافيزيقا يجعل مصداقية مفهوم المجاز تهوي بوصفه محددًا في إطار تصورنا لوجودية اللغة، لذلك غالباً ما تستخدم الاستعارة لتفسير الأعمال الفنية، فالمجاز لا يوجد إلا في متن الميتافيزيقا وداخل حدودها، ويستشهد ريكور بهذه المقولة الأخيرة، إذ يرى أنها تؤكد أن الوجودية المتضمنة في التراث البلاغي تنقل النفس من المكان المرئي إلى غير المرئي، بينما الاستعاري يعني نقل المعنى الحقيقي إلى التصويري، والنقلان تصور واحد، فما يتعلق بالمحتوى في عبارة هيدغر هو لا وجود لاستعارات شعرية، بل هناك فقط استعارات فلسفية، والشعر الحقيقي هو الذي يجعل العالم يظهر". (موسى، 2022، صفحة 138).

وفي ذات السياق يذهب ريكور إلى تبيان الطرق والكيفيات التي يمكن بواسطتها العودة بمفاهيم الحقيقة والواقع والوجود إلى الحقل الذي تستجيب فيه للتأثير الدلالي للقول الاستعاري، وإذا كان هيدغر يضع المجاز ضمن الميتافيزيقا، ويضمه لتغيرات المعنى في النسق اللغوي، وتدمج بذلك عمليات الذهن إلى متصلة بالمفاهيم المجردة بالعالم المحسوس، فيحصل بالتالي عملية التداخل والتجانس بين اللامرئي الذهني بالمرئي المعين في عملية مواكبة لحركة الفكر والوجود واللغة، (موسى، 2022، صفحة 138) ومنه يعتبر ريكور أن الاستعارة والميتافيزيقا "تشتلمان على عملية نقل مما هو أقرب للذهن إلى ما هو أبعد مع وجود فارق بين طرفي عملية النقل". (موسى، 2022، صفحة 138).

بالنسبة لريكور وحول العلاقة بين الاستعارة والميتافيزيقا فسواء كنا ف"الطابع الاستعاري للميتافيزيقا أم الطابع الميتافيزيقي للاستعارة فإن ما ينبغي أن يدرك هو الحركة الوحيدة التي تحمل الكلمات و الأشياء إلى ما وراء، فالملاحظات النقدية التي يقدمها ريكور تدرك الموضوع المستخرج من استنتاج الاستعارة المستهلكة ومن ميتافيزيقا التناسب، وهذه اللحظة لا تنفصل عن توضيح إيجابي لوجودية متضمنة في نظرية الاستعارة... ولعل الميتافيزيقا تتضمن استعارات ميتة هي جزء من اللغة، والاستعارة لاسيما الحية تعتمد على الطابع الميتافيزيقي في التأمل في ما وراء الطبيعة، فالاستعارة قائمة بصورة تجعلها تختلف باختلاف المجال المنتمية إليه " (موسى، 2022، صفحة 139).

ومنه وحسب ريكور فإن المرئي هو الذي يساهم في إظهار اللامرئي، وبناء على هذا فإن الميتافيزيقا المناسبة للاستعارة هي ميتافيزيقا أرسطو، فالكلمات ترسم في الوقت الذي تدل فيه على الأشياء في حالة فعل والفاعل له كامل الصلاحية في إحداث وإجراء التغيرات في العالم بأكمله " (موسى، 2022، صفحة 139).

4-5- التقاطع بين الخطاب الشعري والخطاب الاستعاري:

بعد تحليله لمشكلة الاستعارة داخل الخطاب الشعري والخطاب التأملي وفي إطار محاولة الجمع وتفسير التداخل والتقاطع بين الخطابات في هذا الحقل يقول "ينبغي أن نواجه مهمتين: أن نبني على أساس الاختلاف القائم بين جهات الخطاب، نظرية عامة للمتقاطعات بين دوائر الخطاب، واقتراح تأويل لأنطولوجيا ضمنية في مسلمات الإحالة الاستعارية يستجيب الجدل جهات الخطاب هذا " (ريكور، الاستعارة الحية ، 2016، صفحة 147)

يبدو تأثير ريكور واضحا بهيدغر بأرائه لكن أين يظهر أكثر هذا التأثير؟، يظهر في ما يخص الفكر والشعر والعلاقة القائمة بينهما، فحسبه هي قرابة عميقة، ويشتركان في خدمة اللغة، لكن هذا لا يمنع من وجود الجدل بينهما، فمن "جهة يبعث الشعر التفكير في تخطيط تصور توتري للحقيقة، وهذا يجمل كل أشكال التوترات التي تمكن معرفتها بالدلالة، ويجمعها في نظرية الإحالة المزدوجة، وفي النهاية في مفارقة الرابطة التي يصبح بموجبها الوجود مثل دال على الوجود وعدمه بفضل هذا الدور للتلفظ يصوغ الشعر تجربة الانتماء التي تدرج الإنسان في الخطاب والخطاب في الوجود وتمس هذه التجربة صيغ أخرى للخطاب " (موسى، 2022، صفحة 237).

بين ريكور أن بين الفكر التأملي والتلفظ الاستعاري عملية دعم، لكن من يدعم ويقوي الآخر؟" الفكر التأملي يدعم عمله بديناميكية التلفظ الاستعاري ويطوعه لفضائه المعنوي الخاص، فالتباعد المكون للمحفل النقدي معاصر لتجربة الانتماء المستعادة بالخطاب الشعري الذي يرسم التباعد الذي يدفع الفكر التأملي إلى أقصى درجات التأمل (موسى، 2022، صفحة 237) وهنا يدعو ريكور لممارسة التأويل ف" الجذب الذي يمارسه الخطاب التأملي على الخطاب الاستعاري

يعبر عن نفسه في صيرورة التأويل نفسها، التأويل هو فهم المفهوم إنه عمل توضحي دائماً". (ريكور، الاستعارة الحية ، 2016، صفحة 466) والتأويلية هنا تقوم بدورين هما معنى الأول التأمل الفلسفي حول الفهم والثاني تأويل تجاربنا عن العالم من جهة ثانية، وهنا يظهر الدور الحقيقي لبول ريكور من خلال محاولته الجمع بين الخطاب التأملي الذي يرمي لصياغة الوجود الحقيقي، والشعر الذي يهدف بصورة أولية إلى تنسيق الوجود، مما يجعل الإحالة متناسبة بينهما إلى حد بعيد، فالتأويلية أزاحت الفجوة بين الخطابين، من خلال محاولة الملائمة بينهما (موسى، 2022، صفحة 238)" التأويل هو جهة الخطاب الذي يشتغل في إطار التقاطع بين الحقلين: حقل الاستعارة والحقل التأملي" (ريكور، الاستعارة الحية ، 2016، صفحة 466).

تنوعت الاستعارة داخل الخطاب الاستعاري، هذا التنوع جاء من كونها ذات حركة وحيوية، وتجلت في العلاقة بين التأويل الحرفي والتأويل الاستعاري من طرف المتلقي أيضاً من خلال العلاقة التي تربط بين المستعار له والمستعار منه، ويبرز بوضوح المهمة الحجاجية في الخطاب التي منحها ريكور للاستعارة هذا الدور أخذته من الحركة والحيوية ومدى اتساع علاقاتها والتنوع بين دلالاتها، هذا ما يدعو إلى فتح باب التأويل على نطاق واسع على النص ، ومنه فالاستعارة غير موجودة في ذاتها بل في التأويل ومن خلاله، فالتأويل ضروري للاستعارات . (يعي، دس، صفحة 112).

5-الخاتمة:

من خلال ما تم التطرق له وتحليله في هذه السطور حول الاستعارة والخطاب الفلسفي، وما أنتجه من مفاهيم جديدة في الألفية الثانية عند واحد من أبرز ما أنجبت فرنسا في الفكر الهرمينوطيقي يمكن الخروج بالنقاط التالية:

أن الاستعارة لعبت دوراً هاماً في البلاغة الغربية منذ فجر ظهورها في الفكر اليوناني وخاصة مع أرسطو الذي وضع لها حجر الأساس بنوع من التفصيل والإثراء اللغوي، فأصبح قاعدة عالمية لا بد من الرجوع لها عند محاولة قراءة أي شيء يخص الاستعارة، الاستعارة لم تتوقف هنا وإنما تتبعت الفكر البشري في ارتقائه وتطوره فتلونت بلون كل زمان ومكان وجدت فيه؛ فعرفت في سابق أوانها على أنها نوع من الزينة أو الجمالية التي تضاف للكلام، من خلال عملية استبدال كلمة بكلمة أخرى، لكن الحال لم يبقى هكذا حيث تم تجاوز هذا الطرح وأصبحت وسيلة من وسائل الكلام المستعملة للإقناع والمخاطبة والمحاجة التي لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها.

انتقلت الاستعارة من مجال البلاغة لتكتسح كل المجالات الثقافية والفكرية، ولازمت الفلسفة واقتربت بالخطاب الفلسفي فأضفت عليه نوعاً من الرونق الجمالي ونوعاً من الأسلوب البلاغي الذي زاد في الحجة والإقناع وسرعة الإبلاغ، هذا ما تفتن له الفلاسفة فسارعوا إلى توظيفها في حواراتهم وخطاباتهم مهما كان نوعها أو مجالها.

لقد عالجهما ريكور من خلال تتبع محطاتها كرونولوجيا مستندا ومتوقفا طويلا عند أرسطو فأعاد قراءته متأثرا به تارة ومتجاوزا إياه تارة أخرى في بناء نظرة متكاملة حول الاستعارة فبعد أن كانت عملية تجميل وتنميق واستبدال للكلمة بكلمة أصبحت الاستعارة معه عبارة عن علاقات توتر بين استعارتين مختلفتين تنتج عنهما فكرة جديدة مبتكرة تعبر عن خلق واقع وعالم مختلف عن سابقه؛ وانتقلت معه من نطاق دلالة الكلمة إلى دلالة الجملة.

ونظرا لأهميتها ومزلتها عنده فقد خصص لها بحثا مطولا متعلقا بالخطاب الفلسفي فتطرق لها من جانبها المتعدد بتعدد الوجود مركزا على أرسطو ونظرته الوجودية ومتجاوزا إياه لأنه أغفل جانبها الإبداعي في علاقاته باللغة والوجود، مميّزا بين الخطاب الشعري والخطاب التأملي ليخرج بنتيجة مفادها هو تلاقي الخطابين في المماثلة لأنها موجودة في كليهما، ونفس الشيء بالنسبة للخطاب الديني أين فسر النص الديني وعلاقاته بالرمز ووحدية الوجود فيه، وانتهى إلى نوع من النقاش والجدال الذي يتقاطع حوله الخطابان الشعري والتأملي وعلاقتهما بمسألة الإحالة، وخرج بأن المنفذ الوحيد يكمن بالتأويلية فهي التي تجمع بين الخطابين من خلال إزالة الفجوة بينهما. الاستعارة وعند ارتباطها بالخطاب الفلسفي وخصوصا مع ريكور لم تبقى حبيسة الكلمة بل تجاوزتها إلى دلالة الجملة فلا تفهم إلا داخل سياق الجملة التي وجدت فيها، أيضا أصبحت وسيلة من وسائل الحجاج وإبراز القوة في الكلام وإثراء اللغة الفلسفية متجاوزة الطرح الميتافيزيقي الكلاسيكي القديم.

وأخيرا يعتبر مشروع ريكور بصفة عامة من أبرز المشاريع ذات الصدى الواسع في القرن العشرين ببساطة لأنه مشروع لقي فعاليته في كل الأبعاد اللغوية الفلسفية والتأويلية و الاستيمولوجية؛ وهذا ما يقودنا لتصوير واسع حول فكر ريكور يصعب الإحاطة والإلمام به وهذا ما يشجع على المزيد من البحث والتساؤل حوله، وفيما تعلق بموضوع الاستعارة والخطاب الفلسفي فإنه بالنسبة لريكور هو من بين المواضيع جديدة الطرح والتي لا زالت الأبحاث فيها متواصلة وذات تأثير واسع في البحث البلاغي وقد سار على خطاه الكثيرين مثل سورل وبلانك، وهذا ما يفتح آفاق البحث مستقبلا حول تأثير نظرية الخطاب الاستعاري الفلسفي في الفكر الهيرمينوطيقي المعاصر.

قائمة المراجع:

أولا المراجع بالعربية :

- 1 الأبياري إبراهيم. (1983). *التعريفات للجرجاني علي بن محمد بن علي*. مصر: دار الريان للتراث.
2. الحميري عبد الواسع. (2009). *ما الخطاب وكيف نحلله*. بيروت لبنان: مؤسسة مد الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
3. الخويلدي زهير. (2020). *فلسفة بول ريكور من خلال الوسائط والمنعرجات*. السويد: رقمنة الكتاب العربي ستوكهولم .

4. الزروخي الشريف. (2017/2016). إشكالية قراءة النص الديني من بول ريكور إلى محمد أركون -دراسة تحليلية. أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الفلسفة. جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر، قسم الفلسفة. الجزائر.
5. الطاهر حفصة. (2017/2018). نسق التأويل المعاصر -دراسة نقدية في تأويلية بول ريكور. أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة، جامعة وهران، قسم الفلسفة. وهران .
6. ابن منظور محمد. (1984). لسان العرب. القاهرة مصر: دار المعارف.
7. بصل محمد اسماعيل والعكش أسامة. (2018). مفهوم الحجاج عند أرسطو. مجلة جامع تشرين ، سلسلة الآداب والعلوم الاجتماعية. 40(3).
8. بوقرة مريم. (2017). الخطاب :مفهومه ، أنماطه ، وظيفته ...من وجهة نظر الوظيفية أحمد المتوكل أنموذجا. مجلة تاريخ العلوم. دون مجلد (10).
9. بوطبيان آسيا. (2016). الخطاب واللغة ...مفاهيم وأصول معرفية مجلة المعيار. دون مجلد (13).
10. تيرس حبيبة. (2019). الخطاب ومفهوم النص في تأويلية بول ريكور. مجلة جسور المعرفة 5(2).
11. ريكور بول. (2001). من النص إلى الفعل -أبحاث في التأويل. ت :محمد برادة و حسان بورقيبة. ط1 مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
12. ريكور بول. (2006). نظرية التأويل -الخطاب وفائض المعنى. ت: سعيد الغاني. المغرب: المركز الثقافي العربي.
13. ريكور بول. (2016). الاستعارة الحية. ت: محمد الوالي، تقديم جورج زيناتي. ط1. لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة .
14. صليبيا جميل. (1982). المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية. بيروت لبنان: دار الكتاب اللبناني.
15. عمران عبد الله علي. (2022). فائض المعنى بين الاستعارة والرمز عند ريكور. مجلة البيان العلمية المحكمة . دون مجلد (11).
16. غضاب علي منصور صقر. (2023). الاستعارة من الكلمة إلى الخطاب. مجلة تجسير 5(2).
17. لحويذق عبد العزيز. (2015). نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون . عمان :كنوز المعرفة للنشر والتوزيع .
18. مطلوب أحمد. (1983). معجم المصطلحات البلاغية وتطورها . العراق :مطبعة المجمع العلمي العراقي .

19. موسى عبد الكريم أبو شرار ابتسام. (2022). الملفوظ الاستعاري من فلسفة بول ريكور إلى خطاب درويش في دواني "أرى ما أريد" و "أحد عشر كوكبا". أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية. الأردن.
20. منيع حنان. (2022/2023). الأبعاد الجمالية للاستعارة في فلسفة بول ريكور. أطروحة لمناقشة شهادة الدكتوراه ل م د فلسفة، جامعة وهران، قسم الفلسفة. وهران
21. منيع حنان. (2021). بلاغة الاستعارة ودلالاتها في فلسفة بول ريكور. مجلة دراسات إنسانية واجتماعية. 10(2).
22. وورد ديفيد. (1999). الوجود والزمان والسرد في فلسفة بول ريكور. ت: سعيد الغانمي. لبنان المركز الثقافي العربي.
23. يحيى صلاح الدين. (دس). حجاجية الاستعارة في الخطابات اللغوية. جامعة مولودمعمري تيزي وزو.

ثانيا المراجع بالأجنبية :

24. Amalric, J.-L. (2015). : *L'ÉPREUVE DE LA MÉTAPHORE :ÉPREUVE POUR UNE CRITIQUE DU DISCOURS PHILOSOPHIQUE*. Campinas.35(2).pp419-443.
25. Driscoll, S. D. (2020). *Metaphor as Lexis: Ricœur on Derrida on Aristotle*. *Etudes Ricouriennes*, 11(1)pp 117- 129.